خطبة صلاة الجمعة 5/7/2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(تيسير الزواج –2–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وحَفَدَةً ورَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72].

وقال سبحانه في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته**»، قال: فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسِب النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**».

وأخرج الإمام الترمذي عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي**».

هذه الخطبة التاسعة في سلسلة خطب عنوانها: (**الحياة الأسرية**)، تتحدث عن أهمية الأسرة وقِيَمِها وطريقةِ بنائها في الإسلام وحقوق وواجبات أفرادها وخطط أعداء الإنسان في هدمها وطرق حمايتها.

سبقت خطب عن أهمية الأسرة، ومقاصد الأسرة، وحكم الزواج، واختيار الزوج، والخطبة، وعقد الزواج أركانه وآثاره، وعقود لا تصح.

وعنوان خطبة اليوم: **تيسير الزواج –2–**

لما كانت الأسرة حصن الفرد وسياج المجتمع، ولما كانت المجتمعات ترقى برقي أسرها، وعكسه بعكسه، ولما كان العقد الوحيد الذي ينشئ أسرة ويحفظها هو عقد الزواج كان لزاماً على كلّ عاقل وعلى كل مجتمع عفيف دعمَ الزواج وتيسير سبله.

سبق في الخطبة الماضية طريقتان تساعدان على تيسير الزواج نشر القصص الجميلة عن الزواج، والتيسير على الشاب في متطلبات الزواج.

وفي خطبة اليوم طريقتان: عدم اشتراط ملكية الزوج منزلاً، والابتعاد عن المثالية والأوهام في مواصفات الزوج المناسب، ولن يُعدَم المرء فينا من واحدة من الطرق على الأقل ليعين على نشر الفضيلة ورفع راية العفة وتيسير الزواج.

ثالثاً: عدم اشتراط ملكية الزوج منزلاً.

للزوجة على زوجها النفقة الزوجية، وتشمل الطعام والكسوة والسكنى والتطبيب بالقدر المعروف وخدمة الزوجة التي يكون لأمثالها خادم.

وفي المسكن الشرعي لم يشترط الفقهاء والعقلاء والقانونيون أن يكون مملوكاً للزوج، بل يصح المستأجَر والمعار والموهوب، ولكن اشترطوا في المسكن الزوجي الشرعي الآتي:

1- أن يكون ملائماً لحال الزوج المادية.

2- أن يكون على الأقل غرفةً واحدة مع مرافقها الخاصة من مطبخ ودورة مياه وحمام، وإن كانت ضمن دار.

3- أن يكون بين جيران صالحين.

4- أن يكون مستقلاً بالزوجة، فلا يُسْكِن معها بغير رضاها في الدار نفسِها ضرتَها، أو أحداً من أهله، إذا ثبت إيذاؤهم لها.

5- أن يحتوي المسكن على الأثاث والمتاع الضروري للمعيشة.

أيها الإخوة:

نتمنى جميعاً أن نملك دوراً وأن يملك شبابنا، ولكن الواقع يرينا أن أكثر الشباب غيرُ قادرين على ذلك في مطلع حياتهم الزوجية، فما عليه لو دربنا بناتنا على الرضا ببيت الأجرة أو الإعارة تسهيلاً للزواج، أو على السكنى في بيت أهل زوجها إذا توفرت لها غرفةٌ مستقلة مع المرافق مراعين الضوابط الشرعية.

أخبرني أخ وحيدُ أمه فلا إخوة له ولا أخوات، توفى الله والده ويسكن مع والدته في منزل مساحته مائتا متر في منطقة راقية في دمشق، أنه تقدم لعدد من الأسر للزواج من بناتهم فكانت بعض الأمهات والبنات يرفضن بحجة عدم الاستقلال التام في البيت، أو عدم ملك الشاب لذلك البيت.

لقد بدأ كثير منا حياته الزوجية ببيت إعارة أو أجرة أو سكنى مع بيت أهله، ثم مرت الأيام وأكرم الله أكثرَنا ببيوت مستقلة، فما عليه أن تبدأ بناتنا كما بدأنا إن لم يتيسر لدى الشاب بيتاً مستقلاً!

ولعلّنا نسمع بأنّ بعض أسر البنات حين يتقدم الشاب الذي يملك منزلاً يشترطن صفات خاصة في المسكن، كأن يكون قريباً من بيت أهل الفتاة أو أن يكون مؤثثاً بأثاث معين! وفي هذا كله تعسير للزواج لا تيسير، ومخالفة لمقاصد الشريعة لا موافقة.

أجري بحث رسمي في سورية صدرت نتائجه عام 2010 عنوانه (مشروع دعم الاستراتيجية الوطنية للشباب).

شمل البحث عيّنة بلغت ستة آلاف شاب وشابة، من المحافظات السورية كافة، تناول البحث دراسات صحية وعلمية وعملية واجتماعية متعلقة بالشباب.

وفي مسألة الزواج، سئل الشباب والشابات عن نيتهم بالزواج وعن العوائق التي يجدونها في سبيل تحقيق ذلك، فبيَّنَ (37.8%) من الشباب المبحوثين أنهم يفكرون بالزواج، لكنهم يواجهون صعوبات، أهمها: عدم وجود المسكن.

وأعتقد أن هذا الأمر تقع مسؤولية تذليله على المجتمع والدولة، كما يتحمل مسؤوليته الشباب، حين يكونُ أحدُهم كفؤاً وفاعلاً ومتحملاً للمسؤولية، وتكونُ الفتاة مثلَه.

ومن هنا أتوجه للمساعدة في تيسير أمر السكن للمقبلين على الزواج للمهندسين والمقاولين للحصول على الرخص اللازمة لبناء بيوت صغيرة يتألف كلٌّ منها من غرفة واحدة ومرافقها وهو ما يسمى بنظام الاستديوهات الموجود في العالم، وأتوجه لدافعي الزكاة والصدقات من تجارنا وصناعيينا

لتقديم شققٍ متواضعة للشباب المتحملين للمسؤولية ليبدؤوا بها حياتهم الزوجية، وأتوجه لأصحاب القرار في الدوائر الرسمية للاستمرار في مشاريع السكن الشبابي بالأقساط البسيطة، وأتوجه للآباء والأمهات لتربية بناتهن على القبول ببيت الأجرة أو الإعارة أو السكنى مع أهل الزوج بضوابطه الشرعية، وأتوجه للشباب ليشدوا الهمة ويواصلوا العمل متوكلين على الله تعالى.

كل هذا تيسيراً للزواج ودعماً للفضيلة ونشراً للعفة وإقامةً للدين، وحماية للفرد والمجتمع، وصدقاتٍ جاريات ندخرها عند الله ليوم البعث والجزاء.

رابعاً: الابتعاد عن المثالية والأوهام في مواصفات الزوج المناسب:

فانتظار الفتاة وأهلها لفارس الأحلام القادم من عالم الغيب يؤخر الزواج ويعسره، وطلب الشاب المواصفات الخيالية في الفتاة الموعودة يؤخر الزواج ويعسره.

قد تدور أحاديث بين الفتيات فتحلم إحداهن بزوج عنده دار ومعمل وسيارة ومزرعة، وأن يكون فتياً شاباً جامعياً ديّناً وأديباً ولبقاً ووسيماً وحنوناً ولطيفاً وصاحب وجه طلق ومطواعاً لزوجته!

ويريد الشاب فتاة بيضاء شقراء صغيرة أديبة مطيعة متدينة لبيبة خلوقة جميلة طويلة جامعية غير متطلبة!

اعلموا أيها الشباب وأيتها الفتيات: أنّ النقص من طبيعة البشر، وأن كل إنسان فيه من صفات النقص ما يشي بأنه من بني آدم، وأنه من الصعوبة إن لم يكن المستحيل أن يجد الشاب فتاة توافق رغباته كاملةً، أو أن يتقدم للفتاة شاب يوافق أمنياتها كلَّها، ولكن ليحرص كل منهما على الصفات الرئيسة من دين وخلق وحسن تربية وتحمل مسؤولية.

أيها الإخوة:

كلما زاد النكاح قلَّ السفاح، وكلما كثر الزواج زادت العفة، ومن هنا وجب على كل عاقل وعلى كل مجتمع عفيف دعمُ الزواج وتيسيرُ سبله، وهذه أربع طرق تساعد في تيسير الزواج نشر القصص الجميلة عن الزواج والتيسير على الشاب في متطلبات الزواج، وعدم اشتراط ملكية الزوج منزلاً، والابتعاد عن المثالية والأوهام في مواصفات الزوج المناسب، وللموضوع تتمة إن شاء الله.

واذكروا أن الزواج عبادة، وأن الحفاظ على الأسرة دين، وأن دعم الأسر القائمة والقادمة صدقة جارية.

(من مراجع الخطبة: قانون الأحوال الشخصية السوري وشرحه، وكتب الفقه)

والحمد لله رب العالمين